

عبر وتأملات ... في الحوادث الواقعات ، والفتن النازلات التي تمتحن بها أمة

الإسلام في كل زمان ومكان .

تعليق على أحداث مؤلمة ، وأخرى مفرحة ، فيها وبها : نبش ، وتحذير ، وتثبيت ، ونصير ...

الحلقة (٧٥)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ... أما بعد :

{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢] .

ولو كره الضالون الليبراليون ، والحدائثيون ، والتنويريون ، ومن سار على ذريهم ، ووقع في أوحالهم ،

لقد باءت بالفشل - منذ فجر التاريخ - جميع محاولات أهل الزيغ في تبديل الدين ، وتشويهه ، بدءاً من إبليس اللعين ، ومروراً بمسيلمة الكذاب البغيض ، والرافضة السبئية ، والزنادقة الملحدين ، والوضاعين الذين وضعوا أحاديث كثيرة ، ونسبوها إلى المصطفى الأمين ، عليه أفضل صلاة ، وأتم تسليم ، وانتهاءً بالمستشرقين الغربيين ، وأذنابهم من المنتسبين - زوراً ، وكذباً - إلى المسلمين ،

لقد باءت محاولات هؤلاء ، وستبوء محاولات غيرهم ، ممن لم يأت بعد ؛ لأن الله ربي جلّ وعلا ، قد تكفل بحفظ دينه ، فهو القائل تبارك وتعالى : { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } [الحجر: ٩] ؛

فالشريعة - الكتاب الكريم ، والسنة المطهرة - في حفظ مصون ، وحزب مكنون ، لن يستطيع أحد - إلى قيام الساعة - أن يعبرها ، أو يبدلها ؛ من تلقاء نفسه ، أو من وسوسات شيطانه ، لن يستطيع حتى لو استدعى ، وأجلب لهذا الأمر كل شياطين الإنس ، والجنان ، وجميع سحره المنطق ، والبيان ؛ لن يستطيع أن يفعل من ذلك شيئاً ؛ فإن سؤلت له نفسه الحيثية فأراد أن يحرف في دين الله فإن صواعق الحق ،

وَعَوَاصِفَ الرَّدِّ - بِتَأْيِيدِ مَنْ لَلَّهِ جَلٌّ ، وَعَزَّ - سَتْحِيظُ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ، وَصَوَّبٍ ، قَاصِفَةً سَاحِقَةً ، حَارِقَةً مَاحِقَةً ، دَامِعَةً زَاهِقَةً ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : { بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ } [الأنبياء: ١٨] ، { وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ } [يوسف: ٢١] .

فَهَذَا سَيِّدُهُمْ إِبْلِيسُ ، لَمَّا حَاوَلَ أَنْ يُدْخَلَ فِي كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى مَا لَيْسَ مِنْهُ رَدُّ اللَّهِ كَيْدُهُ فِي نَحْرِهِ ، وَأَحْزَاهُ ، وَأَذَلَّهُ ، هُوَ ، وَاتَّبَاعَهُ ، وَعَبِيدَهُ ، وَأَوْلِيَاءَهُ ، وَأَصْفِيَاءَهُ ، وَأَنْزَلَ فِيهِ - وَفِيهِمْ - آيَاتٍ تُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ :

قَالَ تَعَالَى : { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ } [الحج: ٥٢-٥٣] ،

وَأُولَئِكَ الْكُذَّبَةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ مِنَ الزَّانِقَةِ ، وَأَهْلِ الضَّلَالِ وَالْإِلْحَادِ حَاوِلُوا مُحَاوَلَاتٍ عَدِيدَةً أَنْ يَدْشُؤا فِي سُنَّةِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَيْسَ مِنْهَا ؛ فَقَيَّضَ اللَّهُ فُرْسَانًا جَهَابِدَةً ، مِنْ أَيْمَةِ الْحَدِيثِ ، وَنَقَلَةَ أَخْبَارِهِ ، وَنَقَّادِ مَرْوِيَّاتِهِ ؛ لِيَذُبُوا عَنْ سُنَّةِ حَبِيبِهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَا قَدَّرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ ، وَشَرَّفَهُمْ بِهِ إِلَّا لِأَنَّ "كَلَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الدِّينِ كُلِّهِ وَحْيٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، ... ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : { وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [النساء: ١١٣] ؛ فَالْكِتَابُ : الْقُرْآنُ ، وَالْحِكْمَةُ : السُّنَّةُ ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ»^(١) ، ... ، وَاللَّهُ تَعَالَى قَدْ ضَمِنَ حِفْظَ مَا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ ؛ لِيُقِيمَ بِهِ حُجَّتَهُ عَلَى الْعِبَادِ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ"^(٢) ، وَقَدْ نَقَلْتُ لَنَا كُتُبُ

(١) رواه أبو داود (٤٦٠٤) .

(٢) مختصر الصواعق المرسله (٣٧١/٢) .

التاريخ "أنّ الرّشيد أحد زنديقا ليقتله ، فقال : أين أنت من ألف حديث - وقيل : أربعة آلاف حديث - وضعتها؟ قال : فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري ، وابن المبارك - رحمهما الله - ينحلانها نحلا ؛ فيخرجانها ؛ حرفا ، حرفا" (١).

وفي عصرنا الحاضر يُحاول الزنادقة الجدد ؛ من الليبراليين ، والعلمانيين ، وأمثالهم أن يطعنوا ، ويشككوا في السنّة ؛ ليضلّوا العوام ، والطعام ، وينشروا في الأرض الفساد ؛ ومن محاولاتهم في ذلك تشنيعهم المعروف على صحيح البخاري ، وغيره من الكتب التي دونت السنّة ، فقد قالوا فيها من الهراء ما قالوا ، ومما قالوا - وبئس ما قالوا - : لن نقبل ممّا سطر في تلك الكتب ، وأمثالها إلا ما كان منها متواترا ، أو ما وافق القرآن ، ولم يخالف العقل ، وقواعد المنطق ، أو نحو ذلك من سقيم أقوالهم ، وزبالات أفكارهم ،

وإنّا - على عجالة - نقول لهؤلاء : فهل السنّة - يا ضلال - تخالف القرآن ؟ فكلاهما وحي من عند الله ؛ كما قال تعالى : { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } [النجم: ٣-٥] ، لكن لما فسدت عقولكم ، وتبلدت ، وأشربت قلوبكم من الهوى حتى امتلأت لم تكذ تفهم ، أو تميز ، والحمد لله على ما من علينا من نعمة الإسلام ، والسنّة ، وأكرم .

والقوم لم يكتفوا بذلك ؛ فقد أشاعوا هراءهم ذاك ، وأعلنوه ، كتبوه ، ودونوه ، وفي وسائل الإعلام المختلقة قد أذاعوه ، لكن الله لهم بالمرصاد ؛ فسيخزيهم الله كما أخزي أسلافهم الماضين ، وسيردّهم على أدبارهم صاغرين ، فلينتظروا فإنّا معهم من المنتظرين .

اللهم أرنا - عاجلا - في أعدائنا يوما أسود ؛ تفرح به أهل السنّة ، وتخزي ، وتخزن فيه أهل البدعة ، والزندقة ، اللهم آمين ،
وصلّ اللهم وسلّم على نبينا محمّد ، وعلى آله ، وصحبه وسلّم .

(١) انظر : تذكرة الحفاظ (١/٢٠١) .